

هَذَا فِرَاقُ

شعر

د. إبراهيم عمران

الطبعة الأولى
الكتاب : هذا فراق
المؤلف : إبراهيم عمران
تصنيف الكتاب : شعر
تصميم الغلاف : محمد جمال
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٥٣٦٥ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 0 - 085 - 776 - 977 - 978

دار يسطرون

للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب في جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى والدي ووالدتي

أبراهيم عمران

obeikandi.com

شعرية المجاز وشعرية الحقيقة

(قراءة فى ديوان "هذا فراق")

إيهاب البشبيشى

يثير هذا الديوان، لصاحبه الدكتور إبراهيم عمران، عددا من القضايا الأدبية الهامة التى غالبا ما تثار عندما يطرح سؤال الشعر. من هذه القضايا قضية العلاقة بين الشاعر وجمهوره، وانصراف جمهور التلقى عن الشعر فى العقود الأخيرة، والأسباب التى أدت إلى ذلك، ومدى مسئولية الشعراء عنها. من هذه القضايا أيضا قضية المجاز والحقيقة، وإلى أى حد يستطيع الشعر الإغراق فى المجاز، وما هو الفرق بين الإيهام و الإبهام، وما يستتبع ذلك من تعويم للدلالة، وما يفتحه ذلك من أبواب على نظريات التلقى. من هذه القضايا أيضا قضية التراث والتعلق والاتصال به، وما يترتب على ذلك من سؤال القطيعة مع التراث، والأصالة فى مقابل المعاصرة أو الأصالة مع المعاصرة.

من هذه القضايا أيضا قضية الموسيقى فى الشعر، ومدى انفتاح أو انغلاق آفاق القصيدة العروضية بشقيها العمودى والتفعيلى فى مقابلة مع قصيدة النثر حسبما اصطلح على تسميتها.

وقد تأخر صدور هذا الديوان جدا، ولعل الطب، وهو مهنة شاعرنا الدكتور إبراهيم عمران، هو السبب وراء هذا التأخير، لما يفرضه على أصحابه من قيود صارمة تضطرهم فى كثير من الأحيان إلى تأجيل ما سواه.

لكن كون هذا الديوان هو الديوان الأول لشاعرنا لايؤثر مطلقا فى عمق تجربته وأصالتها ولا فى الخبرة التى تتبدى فى كل قصائد الديوان، فنحن أمام شاعر مكتمل ومتحقق، بل ومتفرد أيضا فى أكثر من وجه من وجوه تجربته الشعرية الخصبة.

وربما كانت القضية الأولى وهى اتصال الشاعر بجمهوره، هى القضية الأم المهيمنة على باقى القضايا المثارة بواسطة هذا الديوان، وسوف يرى القارئ أن الشاعر كان مهموما إلى حد بعيد به، وكان حريصا على إقامة قناة اتصال واسعة، دائمة، غير منقطعة بينه وبين قارئه، ولايعنى ذلك أنه انحدر إلى التقريرية، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وسوف يرصد القارئ من آليات التعبير غير المباشر التى وظفها الشاعر الكثير، على الرغم من أن المباشرة فى حد ذاتها ليست عيبا إلا بقدر ابتذالها وتدنيها وتقريريتها، أما المباشرة

المشعة التى يوظفها الشاعر فى بعض الأحيان، فهى من
قبيل السهل الممتنع الذى لا يستطيعه إلا الشعراء الحقيقيون.

انظر مثلاً إلى قوله:

على جبل من التاريخِ

ما زلنا حفاةً

لم نفارق وجهنا الأغبرُ

ولم ندرك بأن حصادنا يذوى

وأن رهاننا يخسرُ

ولكنى رأيتك فى زوال العينِ

من "جفن الردى" تَقَطَّرُ

رأيتك والسَّنا جذبُ

و أيام الخنا تزهَرُ

عرفتك من صهيلِ شامخِ

كنا نسيناه

نسينا أوجه الفرسان من زمنِ

فمَنْ نذكرُ؟!!

غريباً حيثما تحيا

غريباً حيثما تُذكرُ

غريبٌ والحقيقةُ كلها وطن له نعبزُ

يورد الشاعر الأبيات السابقة ضمن نص بعنوان "وجه الفرات" وسيكتشف القارئ أن المخاطب في هذا النص إنما هو قائد العراق، وهو المشار إليه في العنوان "وجه الفرات"، وهو أيضاً العراق نفسه، وقد استطاع الشاعر من خلال هذه المباشرة المشعة أن يجعل من كليهما معادلاً للآخر، ومن تاريخ أحدهما صفحة من تاريخ الآخر، كما استطاع الشاعر من خلال هذه المباشرة المدببة كالرمح أن يخترق الوجدان العربي ويستنفره ويستنهضه ليشركه الأمل بعراق جديد قوى، كما كان وكما يحب الشاعر، فاستمع إليه يقول:

غداً أتى

فوجهى فى فرات النهرِ

لا يَفْنَى ولا يُقْبَرُ

سيولد ألفُ طفلٍ

من دم الشهداءِ

يحمل سيفك الأبتَرُ

يُعِيدُ الحَلَمَ
يَبْعَثُ فِي نَشِيجِ المَاءِ أَغْنِيَةً
مِنَ الإِقْدَامِ لِلْعَسْكَرِ
غَدٌ يَأْتِي بِهِ القَعْقَاعُ
يَذْبَحُ مَا تَشَابَهَ فِيهِ مِنْ بَقْرِ
غَدٌ يَأْتِي عَلَى الأَبْجَرِ
يَصْدُ كَتَائِبُ الرُّومَانِ وَالْبَرَبْرِ
غَدًا وَالدَّهْرُ دَوَارٌ
وَهَذَا النَّخْلُ لَا يُقْهَرُ

هذه المباشرة الإيجابية ليست إلا جدولا تعبيريا واحدا من النهر الشعري الجارف في الديوان، وسيلحظ القارئ بنفسه كيف أن الشاعر برع في تنويع طرائق التعبير المجازية واستخدامها بأقصى فاعلية ممكنة، تسمح له بالتحليق عاليا في آفاق الخيال، مع الاحتفاظ بقدم له على أرض الواقع، فهو إذا رمز سرب مع الرمز مفتاحا له، وإذا تقنع قدم قناعا شفافا نرى وجهه من ورائه، وإذا قدم معادلا أورد معه ما يسمح بالتعرف على طرفي التعادل معا، فهو في كل أحواله إذن يقدم للقارئ ما يعينه على النظر إلى محور الدلالة، ولا

يعنى ذلك أحادية التفسير للنص، ولكن يعنى مجالا دلاليا متسقا يسمح بتعدد التأويلات فى ظل وحدة البؤرة الدلالية. انظر مثلا وهو يخاطب الوطن المحتضر فى أغلب الظن أو يخاطب قائده . انظر للشاعر كيف ينتقل من رمز لرمز، ومن صورة لصورة تصب جميعها فى بؤرة دلالية واحدة هى الوطن المحتضر والقائد الخائن، يقول:

اركع هناك

أنا هنا

ألقى القميص مبشرا

لم تبق عين فى وجوه الناس حتى تبصرا

فى دورة الإخفاق

أدخل لاجئا جبرا

أقيل فى دُموس الليل

أحفر فى الرجا قبرا

وأنتظر الزمن

لا أنت شيدت السدود

مساويا ما بين صديها

ولا أفرغت في أصدقها قطرا

بل كنت ترفل في الوسن

والسامري على المنصة

لا مساس ولا رسن

والملاحظ فيما سبق أن كل الرموز والأقنعة والإحالات إنما هي رموز تراثية، وهو ما يأخذنا مباشرة إلى قضية التراث والتعلق أو الاتصال به، أو رفضه والانقطاع عنه، وشاعرنا شديد الاتصال بالتراث، خاصة الديني منه، بل يكاد يكون التراث أدواته الأساسية للولوج إلى المعنى، فلا تخلو قصيدة في الديوان من اتكاء على رمز تراثي أو إحالة إلى حادثة تراثية، أو حتى اقتباس تعبير قرآني أو تراثي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نعتبر القرآن الكريم تراثا، فالقرآن الكريم حاضر إيماني بقدر ما هو إرث ديني، لكن المقصود بالتراث الديني تلك الشخصيات المحال إليها باعتبارها شخوصا تراثية، وتلك الحوادث باعتبارها وقائع تاريخية. وللقوف على القدر الذي اتصل به الشاعر بالتراث سأحاول إجراء إحصاء بسيط للإحالات والرموز التراثية خلال قصائد الديوان؛ وهو إحصاء يرسم لنا كمًا كثافة الوجود التراثي على خريطة الديوان، وكيف يرسم

الآفاق الدلالية التى يخلق فيها الشاعر خلال هذا الديوان.

ففى قصيدة "برء" تتوالى الإحالات التراثية كالآتى:

أيوب عليه السلام، "اضرب بضغتك".

الرشيد، "وعساه يسمعك الرشيد".

أصحاب الكهف، "تبنى عليه المسجدا".

هامان وفرعون، "ابن لى صرحا".

بلال، "كن بلالا".

موسى وهارون والسامرى، "فاختصم عصف الخوار".

وفى القصيدة الثانية "سديم" نجد الإحالات كالآتى:

أصحاب الكهف، "هل راودتك الشمس"، "الكلب مات

على الوصيد"، "رقيم".

موسى، "بوركت فى النار التى أشعلت".

العاديات، "والعاديات أتين ضبحا".

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، "سلم جبينك تله".

وفى قصيدة "وجه الفرات" ترد الإحالات الآتية:

"سيهزم الجمع ويولون الدبر" - "سيهزم جمعهم يوما".

أبو ذر الغفارى، "غريب حيثما تحيا/غريب حيثما تذكر".

أيوب عليه السلام، "اخلع ثقيبك".

موسى عليه السلام، "اقترِب للنار".

القنقاع، "غد يأتى به القنقاع".

عنتره، "الأبجر".

وفى قصيدة "رجع الزمان" ترد الإحالات الآتية:

إبراهيم عليه السلام، "نكر هوانك يا وثن/أذن وأذن".

موسى عليه السلام، "سلوى ومن"، "نار الحقيقة".

"بعض الظن إثم" - "بعض الإثم ظن".

سليمان وبلقيس، "دخلت صرعى/شمرت ساقك/

بلجتى/هدهد ألقى كتابا".

يوسف عليه السلام، "ألق القميص مبشرا".

ذو القرنين، " لا أنتَ شيدتَ السُدودَ/مُساوياً ما بين

صديقها/ولا أفرغتَ فى أشداقها قطرا".

السامرى، "السامرى على المنصة لامساس ولارسن".

وفى قصيدة "هذا فراق" تتوالى الإحالات كالاتى:

لقمان، "فهل قلت أف".

يعقوب ويوسف عليهما السلام، "ألقي عليه بثوبى وأصبر".

الخضر، "وأما الغلام فلم تقتليه".

السامري، "فلم ألق إلا الخوار".

أما قصيدة "برهان" فتجىء الإحالات الآتية:

موسى عليه السلام، "وكنت كمن رأى النيران/ هب ليحتلى الغيبا".

فرعون، "الفرعون والكهان والكذبا".

يوسف عليه السلام، "لم أزل فى الجب".

"فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" - "فقف نبك".

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، "بواد غير ذى زرع".

مريم عليها السلام، "قلو أنى هزرتُ بجذعك الواهى / فلست تُساقطُ الرُّطباً".

وفى قصيدة "وحدك" تتوالى الإحالات كالاتى:

الرشيد، "خلف أبواب الرشيد".

عنتره، "ماذا يساوى عنتره/ ولقد ذكرتك والزمان".

خالد بن الوليد، "وخالد لم يبر سهما".

زرقاء اليمامة، "أنت الذى بصر اليمامة".

وفى قصيدة "المرجفون" نرى هذه الإحالات:

يوسف عليه السلام، "من أين أقتبس السنا".

الخلافة وحكام الطوائف، "باعوا الخلافة بالكراسى والذهب".

أبرهة، "الراكعون لفيل أبرهة الرجيم".

المنافقون، "المرجفون الناس من نور الشهب".

ولكى يكون للإحصاء السابق فائدة سأحاول الآن استجلاء الطريقة التى يستثمر بها الشاعر هذه الإحالات، ويسقطها على واقعه، ولنأخذ مثلاً لذلك القصيدة الأولى فى الديوان "برء"؛ ومن خلال العنوان نرجح الظن بأن الشاعر يريد أن يبرأ من مرض ما، وبقراءة النص سنعرف أن البرء ليس من مرض الشاعر فقط، وإنما مما ألم بالوطن كله، وهو يريد أيضاً أن يتبرأ من هؤلاء الذين يعيشون فى أرض هذا الوطن فساداً من الحكام وأعوانهم، ثم هو يريد أن ينصح لهم، ولا يملك سبيلاً لذلك غير شعره، فكيف يفعل الشاعر ذلك؟

يبدأ القصيدة باستعارة قصة أيوب عليه السلام، ولا يقف منها إلا على ما يريد وهو حالة البرء "اضرب بضغتك" ... ثم يؤكد لنفسه أنه على حق ويطمئننها بأن لا تخاف ولا تنتظر اليقين من أحد، وفى سبيل ذلك يورد ذكر يوسف عليه السلام

”أنت الكليم فما رجاؤك من يقين أو شهود“، ثم يعود إلى حالة أيوب ويُذَكِّر المخاطب الذى هو نفس الشاعر بأن الشعر هو دواؤه الذى سيركض فيه بقلبه وليس برجله؛ لأن مرضه ليس فى الجسم وإنما فى البصيرة والرؤية ”الشعر مغتسل الرؤى/ فاركض بقلبك“، ولذلك فالنزيف ليس دما، وإنما هو أحلام ”يانازف الأحلام فى نرق الوعود“، فكم نرف من أحلام تحت سنايك الوعود التى وعد بها الحكام ... ولذلك عليه أن يوقف هذا الزيف ويغتسل من آثاره، وأن يحقنهم بهذا المصل وهو الشعر/ البصيرة/ الرؤية، عساه أن يشفوا هم أيضا وأن تجلى أبصارهم فيروا بعد عمى ويسمعوا بعد صمم، ”آتهم بكر القصيد/ فعساه يبصر ذو العمى/ وعساه يسمعك الرشيد“، والخطوة التالية بعد أن تجلى أبصارهم وترهف أسماعهم تكون بأن يصنع لهم حلما جديدا أو حتى أن يوقظ حلمه القديم الذى سيكون جديدا بالنسبة لهم، حلما بوطن جديد معافى، لكن هذا الحلم سيكون غريبا وكأنه بعث بعد موت، لذلك سيستعير له حالة أصحاب الكهف ”تبنى عليه المسجد“.

وفى هذا المسجد سيؤذن بلال ويقيم الصلاة بوجوده وزهده، وبطهره الأوحده، ولن يغره تشابه الوجوه أو جبروت فرعون/ الحاكم، فقد انهدم صرحه ”والصرح صار المعبدا“، وعليه إذن أن يظل متمسكا بالحلم مهما قاومه المفسدون بالترهيب أو الترغيب ”لو أحرقوا كل السفائن.../رصدوا

لعينيك المدائن والسحابا"، وهى إحالة إلى كفار قريش حين عرضوا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الملك والمال بعد التهديد والوعيد، ثم يذكره بأن كل ذلك إنما هو زيف وضعف ويستعيد لذلك قصة السامرى وعجله:

"فاختصم عصف الخواز... و العجل صار السيدا"

وهكذا اتخذ الشاعر من التلميح بديلا عن التصريح، ومن الإحالة عوضا عن الإشارة، ومن الاتكاء على الدلالات التراثية المشتركة ما يجعل القارئ منصرها معه فى تجربته، بل ويكاد يكتبها معه من توهجها وإشعاعها الدلالى.

لقد أردنا من خلال هذه القراءة الإحالية السريعة لقصيدة "برء" أن أوضح إلى أى حد استطاع شاعرنا الدكتور إبراهيم عمران استثمار التراث والتعامل معه وربطه بالواقع فى لغة تنتمى للتراث بقدر عصريتها، وفى شعر يزيد ارتباطه بالحققة كلما أوغل فى الإيهام، وفى رؤية تربط الحاضر بالماضى وتمد الخطوط الدلالية الموروثة على استقامتها لتوقع إحداثيات الحاضر، بل ولتنتبأ بالمستقبل أحيانا.

وكما استثمر الشاعر التراث استثمر أيضا الموسيقى التى لعبت دورا حاسما فى التشكيل الصوتى بالديوان، سواء عن طريق القافية أو القيم الصوتية الكامنة والظاهرة... وعن طريق الصياغة السطرية أحيانا والعمودية أحيانا أخرى، بما

يدل على أن الأفق الموسيقى للقصيدة العربية لايزال أفقا مفتوحا وثريا، ولا تزال به مناطق بكر استطاع شاعرنا أن يرود بعضها وأكثرها لايزال فى انتظار من يرتاده ويغرس فيه لواءه.

وإذا كان هذا الديوان لصاحبه الشاعر الدكتور إبراهيم عمران يثير كل هذه القضايا - التى لم أوفها حقها من التحليل - وغيرها من القضايا التى لم أعرض لها، فهو ديوان قيم يستحق أن يتوقف النقاد أمامه بالدرس والتحليل، وأن يتوقف القارئ أمامه بالتمتع والدهشة والإعجاب والتأمل، وهو أيضا مدعاة لانتظار المزيد من شاعر استحق هذا اللقب عن جدارة.

ۛۛ

obeikandi.com

اضرب بضغتك
غير مصغٍ للرعود
يا كاسراً حُجِبَ المتاهة
بين خوفك والصمود
البرقُ برقك والمحالُ
أنت الكليمُ
فما رجاؤك من يقينٍ أو شهود
الشَّعرُ مغتسلُ الرؤى
فاركضْ بقلبك
عابراً مرجَ الخلود

يا نازفَ الأحلامِ فى نزقِ الوعودِ
النارُ حولك والجنانُ
فاعمدْ لصدركِ
آتهمْ بكرَ القصيدِ
فعاياه يُبصرُ ذو العمى
و عساياه يسمعُ الرشيدُ
هل غيرُ نبضك من رهانِ
آن الأوانِ
لتشتري حلماً جديداً
تبنى عليه المسجدا

إن كنت لم تدرك بلالا

كن بلالا

أقم الصلاة ولا تمار

وكن بوجدك منشدا

بتيقن الأبرار في فلك الثرى

وبزهد نسائك الحروف

بمن تأبط مره وتحيرا

وكن الوحيد مجردا

إن الوجوه تشابهت

والصرح صار مبددا

فارتق بلجته الشهابا
وعن اقتراف الحلم يوما لاتحد
لو أحرقوا كل السفائن
راودوا منك السنايك والحرابا
حتى ولو رصدوا لعينيك المدائن و السحابا
سيكفرونك فى هواك مجددا
ماذا تبقى منك
كى تستحلب الفرح انتحابا
يا واقفا حد التصحر
بالغيوم ملبدا

يا ناسخاً غسقَ الحقيقةِ
بين ليلك والنهارِ
هذا نشيدك
فاختصم عصفَ الخوارِ
فالراكون تأهبوا
و العجل صار السيدا
فابحث لنفسك عن مدارِ

obeikandi.com

سليم

obeikandi.com

بين انفلاتِ الحُلمِ و الأفقِ البعيدِ
الكلبُ ماتَ على الوصيدِ
و الليلُ حالِكُ
فلنألفِ الموتَ الجديدُ
يا مقتفى الأسرارِ من خلفِ المهالكِ
بُوركتَ فى النارِ التى أشعلتُ
و الرهطِ الذى من حولِ نارِكُ
هل زاورتكَ الشمسُ فى غورِ الوعيدِ
أتظنُّ ذلكَ !
فضفاضةً جُدرانُ حُلمِكَ يا رقيمُ

والكهفُ بوثقةِ الحقيقةِ و المسالكِ
ودقُ الغيومِ لواقحِ الليلِ البهيمِ
لكنَّ شمعتكِ الرياحُ لها تُباركُ
أوجعتَ قلبكُ بالنديرِ وأنتِ راجِ أو مُعارِكُ
سافرتِ فى الأكوانِ مَبْتورِ الخطى
من أى كهفٍ جئتِ بالأسحارِ قدحا
قد كُنتِ أقوى من مُحالكِ
هل أقرضتِ الشمسُ أنوارَ المدارِ
أم أنتِ من أقرضتِ نورَ الشمسِ نارُ
حُبلى سدومكُ بالممالكِ

يا خاذلَ الأفلاكِ فى رحمِ النهارِ
ضاع الوصيدُ
و العادياتُ أتَيْنَ ضَبِحاً
الأرضُ لاقَحَها البَوارُ
إن ماتَ كلبُكَ
جاء كلبٌ
لن يُجيرَكَ أو يُجارَ
سَلَّمَ جبينَكَ تَلَّهُ
لَتَكُونَ ذَبِحا
هذا أو أن الموتِ فى زمنٍ مُعارِ

obeikandi.com

وجه الفرات

obeikandi.com

على جبل من التاريخ
ما زلنا حفاة
لم نفارق وجهنا الأغبر
ولم ندرك بأن حصادنا يذوى
وأن رهاتنا يخسر
ولكنى رأيتك فى زوال العين
من «جفن الردى» تقطر
رأيك والسنا جدب
وأيام الخنا تزهز
عرفتك من سهيل شامخ

كنا نسيناه

نسينا أوجه الفرسان من زمنٍ

فَمَنْ نَذْكُرْ؟!

غريباً حيثما تحيا

غريباً حيثما تُذكرُ

غريبٌ والحقيقةُ كلها وطن له نَعْبِرُ

فلا الجلال منتصرٌ

ولا أذنا به تكبرُ

سيُهزم جمعُهم يوماً

وكل فلولهم تُدبرُ

فلا بغداد جاحدة
ولا النهران من يُنكر
وهل تكريت من تُنهي
أو الأنبار من تؤمر
على جبل من التاريخ ناداني
ألم تبصر؟
أجبت بلى
فقال اخلع ثقيتك
اقترِب للنار
لا تجزع

فقد بوركتُ قبلك
كلما نوديتُ حول النارِ
فاستبشرُ
أنا طودُ
وظلُّ الله في قلبي
فمن أخشى
تموت الخيلُ
والفرسان رُغم جراحها تتأزُّ

غداً آتى
فوجهى فى فرات النهرِ
لايَقْنى ولا يُقْبِرُ
سيولد ألفُ طفلٍ
من دم الشهداءِ
يحمل سيفك الأبتَرُ
يُعِيدُ الحلمَ
يبعث فى نشيج الماء أغنيةً
من الإقدام للعسكرِ
غداً يأتى به القعقاعُ

يذبح ما تشابه فيه من بقرٍ
غد يأتي على الأجر
يصد كتائب الرومان والبربر
غداً والدَّهرُ دوارٌ
وهذا النخلُ لا يُقهرُ

رجع الزمان

obeikandi.com

بَلِّ دَمَوَعَكَ بِالْنَدَى
نَكَّرْ هَوَانَكَ يَا وَثْنُ
أَذْنٍ وَأَذْنٍ كَيْفَمَا
يَنْدَاخُ صَوْتُكَ أَوْ يَنْ
هَذَا أَوْ أَنْ تُبْتَلَى ذُلًّا وَمَنْ
وَأَنَا الَّذِي أُلْهِيتُ عَنْكَ مَسَوِّفًا
هَلْ كُنْتُ مِنْ نَارِ الْحَقِيقَةِ رَاجِفًا
أَمْ أَنْتَ مَنْ
أَحْنَى الرُّؤُوسِ مَهَانَةً
خَوْفَ الْوَعِيدِ

وظنَّ مِنْ إِيَّامِ
وَبَعْضِ الْإِيَّامِ ظَنُّ
أَنَّ الْعُرُوشَ عِبَادَةٌ
يَا وَيْلَ أَنْ
تَبْقَى كَبُومٍ نَاعِقٍ
فِي حُضْنِ شَيْطَانٍ وَجِنِّ
وَأَنَا الْمَوْذَنُ فِي بَيْوتِ مَوَدَّتِي
لَمْ أَدْرِ مَنْ نَحَرَ الرَّحِيقَ بَوْرَدَتِي
أَوْدَعْتُ عِنْدَكَ مَهْجَتِي
مَنْ قَالَ إِنَّكَ تُؤْتِمَنُ

أسرفت في نسج الوعودِ
فَعِشْتُ عمراً مُرْتَهَنَ
وأنا المصدقُ كذبتني
كم شِدْتُ فيها جنتي
وأهبت بالأحلام كوني
لم تكن
لأفجرَ لاحَ بشرفتي
لا ليلَ جنِّ

أرجو رضاك
ومن دموعي أمتهن
فلکم وکم واعدتني
سلوى ومن
ودخلت صرعى دون إذن أو ثمن
شمّرت ساقك فانبجست
بلجتي عينا فعينا
لا هدهدا ألقى كتاباً منبأ
لا طير غنى
مردت قلبي في ثراك

ولم أجد فيك السَّكَنُ
و أنا المتيم بالسهولِ وبالْحَزَنُ
تعبت يداى من الرواية فى الثرى
والريح لم ترحم ضريراً مبصرا
تبع المزونَ تفر من أوكارها
نادى عسى أن تستجيب وتمطرا
ماعاد من رجع سوى رعد الزمان
وماء نهر كان ثم تبخرا
هل ظن ساعتها بأن زمانه ولَّى به
فتحسرا

اركع هناك
أنا هنا
أَلْقِ القَمِيصَ مَبْشُراً
لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ فِي وَجْهِ النَّاسِ حَتَّى تُبْصِرَا
وأنا المسافر في رهائك
مذ أضعتُ هويتي قهراً
في دورة الإخفاق
أدخلُ لاجئاً جبراً
أَقِيلُ فِي دُمُوسِ اللَّيْلِ
أحفرُ في الرجا قبراً
وأنتظر الزمنَ

لا أَنْتَ شِيدَتِ السَّدودَ
مُساوياً ما بين صدفِها
ولا أَفَرَعْتَ في أَشداقِها قطراً
بل كُنْتَ ترفُلُ في الوسنِ
والسامرُ على المنصّةِ
لا مَساسَ ولا رَسَنَ
يا أيها الوطنُ المسجى
تحت أرتالِ العطنِ
أَجَلُ مَوَاتِكَ ساعةً
حتى تُعَدَّ لى الكفنِ

obeikandi.com

وهذا فراق

obeikandi.com

إلى أيِّ حدٍّ سأبكي عليكِ
وأخفض هذا الجبينَ المعفَّرَ
ظلتُ أحبك حتى استحلَّتْ
هديلاً وحلمًا وقنديلَ عنبرٍ
وأنثر قلبي يماما لديكِ
لعلَّ اليمامَ يبيضُ ويكثرُ
وأبنى السواقيَ خلفَ الغمامِ
لأمنعَ عنك هديرَ التصحرِّ
أميطُ الرمالَ بقلبي قليلاً
ووعد الرمالِ كذوبٌ مُنكَرٌ

فهل قلتُ أفَّ إذا ما رسمت
على النيل حلماً ووجهاً تحرَّرت
لك الوصل إن شئت لا لن تشائى
عيون الجحود تبوح وتزهى
كأنى سليب الزمان البعيد
حفائرُ عمرٍ من الضوء تعبى
أعد فيها خصال السدوم
وسمتى القديم على الدرب يصغرُ
لأن الأشعة عند الفطام
تخاف تمر علينا فتُقبِرُ

قَطَفْتُ مِنَ الشَّمْسِ بَعْضَ الْوَعُودِ
فَنَلْتُ شِعَاعًا عَجُوزًا مَكْدَرُ
رَقِصْتُ عَلَى الْمَوْجِ فِي كُلِّ رِيحٍ
وَكُنْتُ الْمُؤَذِّنَ لِلصَّمِّ أُنْذِرُ
أَنَادَى عَلَى الْفَجْرِ يَا بَى أَنْبِلَا
وَدَيْكَ الْعُرُوشُ يَصَلَّى وَيَقْصِرُ
أَغْنَى الَّذِي مَا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ
وَأَبْكَى بِكَاءِ الْجَمَالِ وَأَهْدُرُ
إِلَى أَنْ تَجْفَ الدَّمُوعَ بَعِينِي
وَأَلْقَى عَلَيْكَ بَثُوبِي وَأَصْبِرُ

فارتد أعمى و أنت البصيرة
كفى اخضرار وكفك أبتز
وأبدأ أسئلة حيث أنهى
وكنت زماناً على الصمت أقدر
لماذا خرقت السفين بقلبي
و أورثت فى مقتلتي التحسّر
على أننى لم أزل رغم يأسى
أهز بجذع النخيل ليثمر
وتبنين هذا الجدار لألقى
هناك كنوزى سراياً وأغفر

وأما الغلامُ فلمَ تقتليه
وهذان منه أضلُّ وأكفرُ
نثرتِ الرمادَ بعيني وصدري
فكيف أزيح الرمادَ وأحذرُ
سلى النهرَ كيف رميتُ بشِصٍّ
فلم ألقِ إلا الخوارَ المكرَّ
ولم يبقِ إلا أشدَّ الرحالِ
لأحضنَ حلمي وبالموتِ أَفْطُرُ
وهذا الذي قد قدرتُ عليه
وقد آن وقتُ الفراقِ المقدَّرُ

obeikandi.com

برهان

obeikandi.com

وقفتُ بحافة الأزمان
أرقب عصركَ الذهبَا
أسرّج خيل أجدادى
وأَتبع فى الهوى سببَا
وكنْتُ كمن رأى النيرانَ
هب ليجتلى الغيبَا
فأمسك فى يد قبسَا
وأمسك فى يد غضبَا
وخلتُكَ فى غياباتى
هممت أمزق الحُجبَا

فشقَّ النورُ منى الصدرَ
أورقَ قلبي الشُّهبَا
ولما بُحَّ منى الصوتِ
و ارتحل الصدا شيبَا
رأيتُكَ تعبدُ الفرعونَ
والكهان والكذبا
فهل أسميتني موسى
بلا جبل قد انتصبَا
وهل أسرجت لي نارًا
لأحشدَ جمعهم سرَّبا

وها أنا ذا
أجئ إليك في عيني أكفاني
بكف أحمل الرؤيا
وكف فيه برهاني
عصاة الشعر
أكسرُها
فكم ألقىتها أرضاً
ولم تسع
وكم في تيه أيامي
سكرت بوحي أحلامي

وَحِينَ أَفْقْتُ أَدْرَكْتُ
بَأْنِي لَمْ أَزَلْ فِي الْجَبِّ
مَوْثُوقًا بِقِمَصَانِي
لَقَدْ أَهْرَقْتُ أَحْزَانِي
بِرِيٍّ أَنْتَ أُمِّ جَانِ
فَقَفْتُ نَبِيكَ
بَوَادٍ كَانَتْ ذَا زَرْعٍ
وَكُنَّ حَدَائِقًا غَلْبَا
فَلَوْ أَنِّي هَزَزْتُ بِجَذْعِكَ الْوَاهِي
فَلَسْتُ تُسَاقِطُ الرُّطْبَا

ولو أنى أهجتُ نذيرَ قافيتى
لكنتَ لصوتى الحُجبا
فما من سامعٍ قولاً .
وما من مبصرٍ خطباً
فما يُجدى
إذا أورقتَ فى شعرى
زماناً بائساً قفراً
فكُنْ إن شئتَ لى حَجْراً
وَكُنْ إن شئتَ لى قَدَراً

obeikandi.com

وحدك

obeikandi.com

ووقفتَ وحدك خلف أبواب الرشيد
لم تتحن
لم تتشن
لم تتشخ ثوب النساء
لم تلتحف نسك العبيد
ما بعت تمرًا مرة
أبدًا و لا يومًا تحيد
وطنٌ تعقّ في الطفولة
لا يشبُّ و لا يُميد
ما بين أحلامى و أقدام الطغاة على الثرى

يا ويلَ من ركبَ النهارَ
وقد تدثَّرَ في الهوى
يا نخلُ يا وجعَ العروبةِ
يا ذرى الحلمِ البعيدِ
ماذا جرى ؟
من في الزمان له يدُ
فيما يباعُ و يشتري
في عصر نهوى أن نموتَ على الصدورِ
ماذا يُساوى عنتره ؟!
و لقد ذكركُ و الزمانُ مغادرُ بيتِ القصيدِ

فمن رآكَ لكى يرى
سيفاً تَوْضاً عند بابك مشهراً
من بعد ما نَسَجَ الدماءَ
كما الشفاهِ المبهره
فترنحتُ كأسُ الكرامةِ فى يدي
وتوقفتُ سبيلُ الرؤى فى خافقى
فشحذتُ حلماً كان يوماً فى فمى
وذكرتُ أنى قد عشقتُك
رغم انكفاءاتِ الصدى
وترنجِ الحلمِ القديمِ على يبابِ الأوردةِ

لملمتُ بعضاً من قوافي غربتي
و حملتُ نهرا في ثنايا مهجتي
فى حين يأتى الزيف محترفا على جرف الوعيد
نخلُ يموتُ

و(خالد) لم يبرِ سهماً
لا ولا بالكبرياءِ تعفراً

ووقفتَ وحدك تحت أكوام الغيوم مُبعثراً
أفقاً من الصدا المعربدِ قد عشى و تحجرا
فتمخض الوطن العظيم كمقبرة

كيف الفرار ؟
سيُسجلُ التاريخُ عارًا بعد عارٍ
وطنٌ تَارجحُ في عيونِ القبرِ
يسألكَ القَرارُ !
و تناثرتُ كلُّ الرؤى
فلتَعطنا نَخلا تَخضَّبَ بالندي
نخلا عزيزاً سيدا
فالوجهُ عانقهُ انكسارُ
و هناك مازال المدى
و القفر يسعى بين زخات الردى

ماذا تفيض على الجراح
أنت الذي بَصُرَ اليمامة
فوق سطح مستباح
رغم الظلام
و رغم ما يغشى البلاد من السفاح

اطرجفون

obeikandi.com

من أين أقتبس السنا؟

سلبوا النهارَ

وأورثوا ليلَ المنى

فمشيت خلفَ سحابةٍ

ما نالنى غيرُ النصبِ

وأنا الذى أشعلتُ...

كم أشعلت شمعاً للرياحِ

فهل يجافينى الذهبُ؟

اليوم لا نارٌ لى

ولا حطبٍ

غدى المكبلُ كيف يخرق الحجبُ
فأنا المغيبُ فى هشيم قصائدى
النار مثواها القصيدُ
وبئس مثواه الغضبُ

فى دفقة التاريخ تخرجُ فرقةُ
باعوا الخلافة بالكراسى والذهبُ
ثم اشتروا بخساً
بنصر الله فينا
كلَّ أوثانِ العربِ

الراكعون لفيل أبرهة الرجيم
المرجفون الناس من نور الشُّهْبِ
الجالسون على أكفِّ الرياحِ
ريشاً بين أوراقِ الخُطْبِ
الرابضون على مدافعِ كبرهم
جُبناً وإذعانا
وأنا المكبل بالقصائدِ والذهبِ
والنارِ مثواها القصيدُ
وبئس مثواه الغضبُ

obeikandi.com

الفهرس

٥	مقدمة
١٩	برء
٢٧	سديم
٣٣	وجه الفرات
٤١	رجع الزمان
٥١	وهذا فراق
٥٩	برهان
٦٧	وحدك
٧٥	المرجفون

